سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (2)

الشمقمقية

أبو العباس أحمد بن محمد بن الونان المملوكي التواتي الفاسي

(ولد بفاس وتوفي عام 1187 هـ)

بسم الله الرحمان الرحيم

مَهْلاً على رِسْلِكَ حَادِي الأَيْنُقِ   ولا تُكَلِّفْهَا بِمَا لَمْ تُطِقِ
فَطالَمَا كَلَّفْتَها وَسُقْتَها   سَوْقَ فَتًى مِنْ حالِها لَمْ يُشْفِقِ
ولَمْ تَزَلْ تَرْمِي بِها يَدُ النَّوى   بِكُلِّ فَجٍّ وفَلاةٍ سَمْلَقِ
ومَا ائْتَلَتْ تَذْرَعُ كُلَّ فَدْفَدٍ   أذْرُعُهَا وكُلَّ قاعٍ فَرَقِ
وكُلَّ أبْطَحَ وأجْرَعَ وجِزْ   عٍ وصَرِيمَةٍ وكُلَّ أبْرَقِ
مَجاهِلٌ تَحَارُ فِيهِنَّ القَطَا   لا دِمْنَةٌ لا رَسْمُ دارٍ قَدْ بَقِي
لَيْسَ بِها غَيْرُ السَّوافِي والحَوا   صِبِ الحَراجِيجِ وكُلِّ زِحْلِقِ
والمَرْخِ والعَفَارِ والعِضَاهِ والْـ   بَشَامِ والأثْلِ ونَبْتِ الخَرْبَقِ
والرِّمْثِ والخُلَّةِ والسَّعْدانِ   والثَّغْرِ وشَرْيٍ وسَنَا وسَمْسَقِ
وعُشَرٍ ونَشَمٍ وإسْحَلٍ   مَعَ ثُمَامٍ وبَهَارٍ مُونِقِ
والسِّمْعِ واليَعْقُوبِ والقَشَّةِ والـ   سِّيدِ السَّبَنْتَى والقَطا وجَوْرَقِ
واللَّيْلِ والنَّهارِ والرِّئالِ والـ   هَيْثَمِ مَعْ عِكْرِمَةٍ وخِرْنِقِ
ولَمْ تَزَلْ تَقْطَعُ جِلْبابَ الدُّجَى   بِجَلَمِ الأيْدِي وسَيْفِ العُنُقِ
فمَا اسْتَرَاحَتْ مِنْ عُبُورِ جَعْفَرٍ   ومِنْ صُعُودٍ بِصَعِيدٍ زَلَقِ
إلاَّ وفِي خَضْخَاضِ دَمْعِ عَيْنِها   خَاضَتْ وغَابَتْ بِسَرابٍ مُطْبِقِ

كَأَنَّمَا رَقْرَاقُهُ بَحْرٌ طَمَا   والنُّوقُ أمْواجٌ عَلَيْهِ تَرْتَقِي
وكُلُّ هَوْدَجٍ علـى أقْتابِهِا   مِثْلُ سَفِينٍ ماخِرٍ أوْ زَوْرَقِ
مَرَّتْ بِها هُوْجُ الرِّياحِ فَهْيَ فِي   تَفَرُّقٍ حِيناً وحِيناً تَلْتَقِي
وَكَمْ بِسَوْطِ البَغْيِ سُقْتَ سُوقَهَا   سَوْقَ المُعَنِّفِ الذي لَمْ يَتَّقِ
حَتَّى غَدَتْ خُوصاً عِجافاً ضُمَّراً   أَعْنَاقُهَا تَشْكُو طَويلَ العَنَقِ
مَرْثُومَةَ الأيْدِي شَكَتْ فَرْطَ الوَجَى   لَكِنَّهَا تَشْكُو لِغَيْرِ مُشْفِقِ
قَدْ ذَهَبَتْ مِنْها المَحَاسِنُ بإِدْ   مَانِ السُّرَى وقِلَّةِ التَّرَفُّقِ
كَأَنَّها لَمْ تَكُ قَبْلُ انْتُخِبَتْ   من كُلِّ قَرْواءَ رَقُوبٍ فُنُقِ
دَوْسَرَةٍ هَوْجاءَ وَجْنَى مابِها   مِنْ نَقَبٍ ومِنْ وجًى وسَلَقِ
مِنْ بَعْدِ ما كانَتْ هُنَيْدَةً غَدَتْ   أَكْثَرَ مِنْ ذَوْدٍ ودُونَ شَنَقِ
وإِنْ تَمَادَيْتَ على إِتْعَابِهَا   ولَمْ تَكُنْ مُنْتَهِياً عَنْ رَهَقِ
فَسَوْفَ تَعْرُوكَ على إتْلافِهَا   نَدامَةُ الكُسَعَيِّ والفَرَزْدَقِ
وكُنْتَ قَدْ عُوِّضْتَ عَنْ أَخْفافِهَا   خُفَّيْ حُنَيْنٍ ظافِراً بِالأَنَقِ
لأنْتَ أَظْلَمُ مِنْ ابْنِ ظالِمٍ   إِنْ كُنْتَ مِنْ بَعْدُ بِهَا لَمْ تَرْفُقِ
رِفْقاً بِها قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَا   واتَّسَعَ الخَرْقُ عَلَى المُرَتِّقِ

وَهَبْ لأَيْدِيهِنَّ أيْداً وَلَهَا   مَتْناً مَتِيناً ما خَلا عَنْ مَصْدَقِ
فَمَا لِظُعْنٍ حَمَلَتْ مِنْ مِرَّةٍ   بِظَعْنٍ أوْدَى بِها في الغَسَقِ
أَسَأْتَ للغِيدِ وللنُّوقِ وَلِي   إسَاءَةً بِتَوْبَةٍ لَمْ تُمْحَقِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ بِحُبِّ حِلْمِ أحْنَفٍ   والمِنْقَرِي قَلْبِيَ ذا تَعَلُّقِ
حَمَلْتُ رأسَكَ على شَبَا القَنا   مُرَوِّعاً بِهِ حُدَاةَ الأَيْنُقِ
فَسُقْ فَلاَ نَعِمَ عَوْفُكَ ولا   أمِنَ خَوْفُكَ ولا تَدْرَنْفِقِ
وَدَعْ يَسُوقُ بَعْضُهَا بَعْضاً فَقَدْ   دَنَا وُلُوجُهَا بِوَعْرٍ ضَيِّقِ
وَلْتَتَّخِذْنِي رَائِداً فَإِنَّنِي   ذُو خِبْرَةٍ بِمُبْهَمَاتِ الطُّرُقِ
إنْ غَرَثَتْ عَلَّفْتُهَا وَلَوْ بِمَا   جَمَعْتُهُ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقِ
أَوْ صَدِيَتْ أوْرَدْتُهَا مِنْ أَدْمُعِي   نَهْرَ الأُبُلَّةِ ونَهْرَ جِلَّقِ
رِفْقاً بِهَا شَفِيعُهَا هَوَادِجٌ   غَدَتْ سَمَاءَ كُلِّ بَدْرٍ مُشْرِقِ
مِنْ كُلِّ غَيْدَاءَ عَرُوبٍ بَضَّةٍ   رَعْبُوبَةٍ عَيْطَاءَ ذاتِ رَوْنَقِ
خَرِيدَةٍ مَمْسُودَةٍ رَقْرَاقَةٍ   وَهْنَانَةٍ بَهْنَانَةِ الْمُعْتَنَقِ
وَقُلْ لِرَبَّاتِ الهَوادِجِ انْجَلِيـ   ـنَ آمِنَاتٍ فَزَعٍ وفَرَقِ
فَإِنَّنِي أَشْجَعُ مِنْ رَبِيعَةٍ   حَامِي الظَّعِينَةِ لَدَى وَقْتِ اللُّقِ

فَرُبَّمَا يَبْدُو إذا بَرَزْنَ لِي   رِئْمٌ إِلَيْهَا طَارَ بِي تَشَوُّقِي
لُبْنَى ومَا أَدْراكَ ما لُبْنَى بِهَا   عُرِفْتُ صَبًّا مُغْرَماً ذا قَلَقِ
تَسْبِي بِثَغْرٍ أَشْنَبٍ ومَرْشَفٍ   قَدْ ارْتَوَى مِنْ قَرْقَفٍ مُعَتَّقِ
ونَاعِمٍ مُهَيْكَلٍ وفَاحِمٍ   مُرَجَّلٍ وحَاجِبٍ مُرَقَّقِ
وعَقِبٍ مُحَجَّلٍ ومِعْصَمٍ   مُسَوَّرٍ وعُنُقٍ مُطَوَّقِ
ومُقْلَةٍ تَرْمِي بِقَوْسِ حَاجِبٍ   ثَلاثَةٌ مِثْلَ الأَثَافِي في الرُّقِ
حُقَّانِ مِنْ عَاجٍ وقَعْبُ فِضَّةٍ   مِنْ ظَاهِرٍ وبَاطِنٍ كالشَّفَقِ
وزَادَ مِسْكُ الخَالِ وَرْدَ خَدِّهَا   حُسْناً وقَدْ عَمَّ بِطِيبٍ عَبِقِ
وقَبَّلَتْ أَقْدَامَهَا ذَوائِبٌ   سُودٌ كَقَلْبِ العَاشِقِ المُحْتَرِقِ
كَمْ أَوْدَعَتْ في مُقْلَتِي مِنْ سَهَرٍ   وأَضْرَمَتْ في مُهْجَتِي مِنْ حَرَقِ
ولا يَزَالُ في رِيَاضِ حُسْنِهَا   يَسْرَحُ فِكْرِي ويَجُولُ رَمَقِي
ولا تَسَلْ عَمَّا أَبُثُّ مِنْ جَوًى   ومَا تُرِيقُ مِنْ دُمُوعٍ حَدَقِي
يَوْمَ اشْتَكَى كُلٌّ بِمَا في قَلْبِهِ   لِحِبِّهِ بِطَرْفِهِ بِمَا لَقِي
ما عُذْرُ مَنْ يَشْكُو الجَوَى لِمَنْ جَفَا   وَهْوَ لِدَمْعِ جَفْنِهِ لَمْ يَرِقِ
آهٍ عَلَى ذِكْرِ لَيَالٍ سَلَفَتْ   لِي مَعَهَا كالبَارِقِ المُؤْتَلِقِ

فِي مَعْهَدٍ كُنَّا بِهِ كَنَخْلَتَيْ   حُلْوانَ فِي وَصْلٍ بِلا تَفَرُّقِ
نِلْنَا بِهِ مَا نَشْتَهِي مِنْ لَذَّةٍ   وَدَعَةٍ فِي ظِلِّ عَيْشٍ دَغْفَقِ
أَزْمَانَ كَانَ السَّعْدُ لِي مُسَاعِداً   وَمُقْلَةُ الرَّقِيبِ ذَاتُ بَخَقِ
والْيَوْمَ قَدْ صَارَ سَلامُ عَزَّةٍ   يُقْنِعُ مِنْ لُبْنَى إذا لَمْ نَلْتَقِ
والله لَوْ حَلَّتْ دِيارَ قَوْمِهَا   واحْتَجَبَتْ عَنِّي بِبابٍ مُغْلَقِ
لَزُرْتُهَا والليْلُ جَوْنٌ حَالِكٌ   وَجَفْنُهَا لَمْ يَكْتَحِلْ بِأَرَقِ
مَعِي ثَلاثَةٌ تَقِي صَاحِبَهَا   مَا لَمْ تَكُنْ نُونُ الوِقَايَةِ تَقِي
سَيْفٌ كَصَمْصَامَةِ عَمْرٍو بَاتِرٌ   لا يُتَّقَى بِيَلَبٍ وَدَرَقِ
وبَيْنَ جَنْبَيَّ فُؤَادُ ابْنُ أَبِي   صُفْرَةَ قَاطِعُ قَرَا ابْنِ الأَزْرَقِ
وفَرَسٌ كَلاَحِقٍ ودَاحِسٍ   يَوْمَ الرِّهَانِ شَأْوُهُ لَمْ يُلْحَقِ
تَقْدَحُ نِيرَانَ الحُبَاحِبِ حَوا   فِرُهُ عِنْدَ خَبَبٍ وطَلَقِ
كالرِّيحِ في هُبُوبِهِ والسِّمْعِ فِي   وُثُوبِهِ وكَالْمَهَى فِي فَشَقِ
بِهِ أَجُوسُ فِي خِلالِ دُورِهَا   وأَنْثَنِي كالْبَارِقِ الْمُؤْتَلِقِ
فَإِنْ تَكُ الزَّبَّا دَخَلَتْ قَصْرَهَا   وكَقَصِيرٍ سُقْتُهَا لِلنَّفَقِ
وَمَنْ حَمَاهَا كَكُلَيْبٍ فَلَهُ   جَسَّاسُ رُمْحٍ رَاصِدٍ بِالطُّرُقِ

لا بُدَّ لِي مِنْهَا وَإِنْ تَحَصَّنَتْ ... بِالأَبْلَقِ الفَرْدِ وبِالخَوَرْنَقِ
لا بُدَّ لِي مِنْهَا وإِنْ عَثَرْتُ فِي ... ذَيْلِ الحُسَامِ والسِّنَانِ الأَزْرَقِ
فَإِنْ ظَفِرْتُ بِالْمُنَى مِنْ قُرْبِهَا ... بَالَغْتُ في صِيانَةِ العِرْضِ النَّقِي
وإِنْ بَقِيتُ مِثْلَ ما كُنْتُ فَلاَ ... زِلْتُ بَغِيضَ مَضْجَعِي ونُمْرُقِي
أَشُنُّ كُلَّ غَارَةٍ شَعْوا عَلَى ... مَنْ يَحْمِهَا فِي مِقْنَبٍ وفَيْلَقِ
وفِي خَمِيسٍ مِنْ خِيارِ يَعْرُبٍ ... ذَوِي رِماحٍ وَخُيُولٍ سُبُقِ
مِنْ أُسْرَتِي بَنِي مُلُوكٍ فَهُمُ ... أَطْوَعُ لِي مِنْ سَاعِدِي ومِرْفَقِ
سَلْ ابْنَ خَلْدُونَ عَلَيْنَا فَلَنَا ... بِيَمَنٍ مَآثِرٌ لَمْ تُمْحَقِ
وَسَلْ سُلَيْمَانَ الكَلاعِي كَمْ لَنَا ... مِنْ خَبَرٍ بِخَيْبَرٍ والْخَنْدَقِ
ويَوْمَ بَدْرٍ وحُنَيْنٍ وتَبُو ... كَ والسَّوِيقِ وَبَنِي الْمُصْطَلَقِ
بِهِمْ فَخَرْتُ ثُمَّ زِدْتُ مَفْخَراً ... بِأَدَبِي الغَضِّ وحُسْنِ مَنْطِقِي
وزَانَ عِلْمِي أَدَبِي فَلَنْ تَرَى ... مَنْ شِعْرُهُ كَشِعْرِيَ الْمُنَمَّقِ
فَإِنْ مَدَحْتُ فَمَدِيحِي يُشْتَفَى ... بِهِ كَمِثْلِ الْعَسَلِ الْمُرَوَّقِ
وإِنْ هَجَوْتُ فَهِجَائِي كالشَّجَا ... يَقِفُ فِي الحَلْقِ كَمِثْلِ الشَّرَقِ
فَإِنْ يَكُ الشِّعْرُ عَصَى غَيْرِي فَقَدْ ... أَطَاعَنِي فِي عَيْهَقٍ وحَنَقِ

وإنْ يَكُنْ سَيْفاً مُحلّى فَقَدْ   أَبْلَى نِجَادَهُ عِنَاقُ عُنُقِي
وإِنْ يَكُنْ بُرْداً فَقَدْ صِرْتُ بِهِ   مُعْتَجِراً دُونَ جَمِيعِ السُّوَقِ
وإنْ يَكُنْ تاجاً فَقَدْ زادَ سَنًا   جُوْهَرُهُ مُذْ حَلَّ فَوقَ مَفْرِقِ
وإِنْ يَكُنْ حدِيقةً فَطَالَمَا   نَزَّهْتُ فيها خَاطِرِي وحَدَقِي
وإِنْ يَكُنْ بَحْراً فَقَدْ غُصْتُ على   جَوْهَرِهِ وكُنْتُ نِعْمَ المَنْتَقِ
وهَلْ أنا إِلاّ ابْنُ ونَّانَ الذِي   قَرَّبَهُ كَمْ مِنْ أَمِيرٍ مُرْتَقِ
أحَقُّ مَنْ حُلِّيَ بالأسْتاذِ والشَّـ   ـيْخِ الفقيهِ العالِمِ المُحَقِّقِ
وبالمُحَدِّثِ الشَّهيرِ والأدِيـ   ـبِ والمُجِيدِ والبليغِ المُفْلِقِ
وأعْلَمُ الناسِ بدُونِ مِرْيَةٍ   سِيَّانِ مَنْ بمَغْرِبٍ ومَشْرِقِ
بالشِّعْرِ والتَّاريخِ والأمْثالِ والأنْـ   ـسَابِ والآثارِ سَلْ تُصَدِّقِ
فَبَشِّرَنْ ذاكَ الحسودَ أنَّهُ   يَظْفَرُ في بَحْرِ الهِجَا بالغَرَقِ
وقُلْ لَهُ إذا اشْتَكَى مِنْ دَنَسٍ   أنْتَ الذي سَلَكْتَ نَهْجَ الزَّلَقِ
وفُقْتَ في الْجُرْأَةِ خاصِي أسَدٍ   فَمُتْ بِغَيْظِكَ وبالرِّيقِ اشْرَقِ
ومَا الذي دعاكَ يا خَبُّ إلى   ذِي الأُفْعُوانِ ذي اللّسانِ الفَرَقِ
نَطَقْتَ بالزُّورِ أمَا كُنْتَ تَعِي   أنَّ البَلا مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ

ولَمْ تَخَفْ مِنْ شاعرٍ مَهْما انْتَضَى   سَيْفَ الهِجَا فَرَى حِبالَ العُنُقِ
يا صاحِ سَلِّمْ للوَرَى تَسْلَمْ ولا   تَسُمْ فَصِيحَ النُّطْقِ بالتَّمَشْدُقِ
فذاكَ خَيْرٌ لَكَ واسْتَمِعْ إِلى   نُصْحِ الحَكِيمِ الماهِرِ المُحَقِّقِ
فَكُنْ مُهَذَّبَ الطِّباعِ حافِظاً   لِحِكَمٍ وأدَبٍ مُفْتَرِقِ
وعاشِرِ النَّاسَ بِحُسْنِ خُلُقِ   تُحْمَدْ عَلَيْهِ زَمَنَ التَّفَرُّقِ
ولا تُصاحِبْ مَنْ يَرَى لِنَفْسِهِ   فَضْلاً بِلا فَضْلٍ وغَيْرَ المُتَّقِ
وكُلُّ مَنْ لَيْسَ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ   فَضْلٍ فَلا تُطْمِعْهُ بالتَّمَلُّقِ
وفَوِّقَنْ سَهْمَ النُّمَيْرِيِّ لِمَنْ   لِطُرُقِ العلْياءِ لَمْ يُوَفَّقِ
وافْعَلْ بِمَنْ تَرْتابُ مِنْهُ مِثْلَ فِعْـ   ـلِ المُتَلَمِّسِ اللَّبيبِ الحَذِقِ
أَلْقَى الصَّحيفةَ بِنَهْرِ حيرَةٍ   وَقَالَ يا ابْنَ هِنْدٍ أَرْعِدْ وأَبْرِقِ
ولا تَعِدْ بِوَعْدِ عُرْقوبٍ أخاً   وفِهْ وَفَا سَمَوْأَلٍ بالأَبْلَقِ
شَحَّ بأَدْرُعِ امرىءِ القَيْسِ وقَدْ   تَرَكَ نَجْلَهُ غَسَيلِ العَلَقِ
ومِثْلَ جارٍ لأبي دُؤَادَ لا   تَطْمَعْ بِهِ إنْ لَمْ تَكُنْ بالأَحْمَقِ
واحْمَدْ جَلِيساً لا تَخافُ شَرَّهُ   وكابْنِ شَوْرٍ لَنْ تَرَى مِنْ مُطْرِقِ
وَلْتَكُ أَبْصَرَ مِنَ الهُدْهُدِ والزَّرْ   قَا بِعَيْبِ نَفْسِكَ المُحَقَّقِ

وَكُنْ كَمِثْلِ وَاسِطِيٍّ غَفْلَةً   عَنْ شَتْمِ ضَارِعٍ وعَتْبِ سُقُقِ

واعْدُ على رِجْلَيْ سُلَيْكٍ هارِباً   مِنْ قُرْبِ كُلِّ خُنْبُقٍ وسَهْوَقِ

وَكُنْ نَدِيمَ الفَرْقَدَيْنِ تَنْجُ مِنْ   مُنَغِّصٍ ومِنْ طُرُوِّ الرَّنَقِ

وَكُنْ كَعَقْرَبٍ وَضَبٍّ مَعَ مَنْ   عَلَيْكَ قَلْبُهُ امْتَلا بالحَنَقِ

ثُمَّتَ لا تَعْجَلْ وكُنْ أَبْطَأَ مِنْ   غُرابِ نُوحٍ أَوْ كَفِنْدِ المُوسِقِي

مَضَى لِنارٍ طالِباً وبَعْدَ عَا   مٍ جَا بِهَا يَسُبُّ فَرْطَ القَلَقِ

وخُذْ بِثأرِكَ كَمَنْ أتَى   بِالجَيْشِ خَلْفَ شَجَرٍ ذِي وَرَقِ

وانْتَهِزْ الفُرْصَةَ مِثْلَ بَيْهَسٍ   وبِالمُدَى لَحْمَ العُداةِ شَرِّقِ

وكابْنِ قَيْسٍ بِهِمُ كُنْ مُولِماً   وَلِيمَةً شَهِيرَةً كالفَلَقِ

يَوْمَ مِلاكِهِ بِأُمِّ فَرْوَةٍ   عَرْقَبَ كُلَّ ذاتِ أَرْبَعٍ لَقِي

ولا تَدَعْ وإنْ قَدَرْتَ حِيلَةً   فَهْيَ أَجَلُّ عَسْكَرٍ مُدَهْرَقِ

إنْ كانَ في سَفْكِ دَمِ الشِّفَا   سَفْكُ دَمِ البَرِيءِ غَيْرُ أَلْيَقِ

ولا تُحارِبْ ساقِطَ القَدْرِ فَكَمْ   مِنْ شِّهَةٍ قَدْ غُلِبَتْ بِبَيْذَقِ

وَكَمْ حُبَارَى أمَّهَا صَقْرٌ فَلَمْ   يَظْفَرْ بِغَيْرِ حَتْفِهِ بِالذَّرَقِ

وكَمْ عُيُونٍ لأسُودٍ دَمِيَتْ   بالعَضِّ مِنْ بَعُوضِها المُلْتَصِقِ

والْـخُـلْـدُ قَـدْ مَـزَّقَ أقوامَ سَبَا   وهَـدَّ سَـدّاً مُـحْـكَـمَ الـتَّـأَنُقِ
ولا تُـنَـقِّـصْ أحَـداً فَـكُـلُّـنَـا   مِـنْ رَجُـلٍ وأصْـلُـنَـا مِـنْ عَـلَـقِ
لا تُـلْـزِمِ الـمَـرْءَ عُـيُـوبَ أصْـلِـهِ   فـالـمِـسْـكُ أصْـلُـهُ دَمٌ في الـعُـنُـقِ
والـخَـمْـرُ مَـهْـمَا طَـهُـرَتْ فَـبَـيْـنَـهَا   وبَـيْـنَ أصْـلِـهَـا بِـحُـكْـمٍ فَـرِّقِ
ولا تُـؤَيِّـسْ طـامِـعاً فـي رُتْـبَـةٍ   لِـنَـيْـلِـهَـا نَـظِـيـرُهُ لَـمْ يَـرْتَـقِ
فـالـزَّرْدُ يَـوْمَ الـغَـارِ لَـمْ يَـثْـبُـتْ لَـهُ   فَـضْـلٌ وكَـانَ الـفَـضْـلُ لـلـخَـدَرْنَـقِ
وَقَـوْسُ حـاجِـبٍ بِـرَهْـنِـهَا لَـدَى   كِـسَـرَى اطْـمَـأَنَّ قَـلْـبُـهُ بِـمَـا لَـقِـي
لا تَـغْـشَ دارَ الـظُّـلْـمِ واعْـلَـمْ أنَّـهَا   أخْـرَبُ مِـنْ جَـوْفِ حِـمَـارٍ خَـلَـقِ
ولا تَـبِـعْ عَـرْضَـكَ بَـيْـعَ أبِـي   غَـبْـشَـانَ بَـيْـعَ الـغَـبْـنِ والـتَّـبَـلْـصُـقِ
بـاعَ الـسِّـدَانَـةَ قُـصَـيًّـا آخِـذاً   عِـوَضَـهَـا نِـحْـياً مِـنْ أمِّ زَنْـبَـقِ
ولا تَـكُـنْ كَـأَشْـعَـبٍ فَـرُبَّـمَـا   تَـلْـحَـقُ يَـوْمـاً وافِـدَ الْـمُـحَـرِّقِ
ولا تَـكُـنْ كـوَاوِ عَـمْـرٍو زائِـداً   فِـي الـقَـوْمِ أو كَـمِـثْـلِ نُـونِ مُـلْـحَـقِ
واعْـضُـلْ كَـهَـمَّـامٍ بَـنَـاتِ فِـكْـرَةٍ   ضِـنًّـا بِـهَـا عَـنْ غَـيْـرِ فَـحْـلٍ مُـعْـرِقِ
كـي لا تَـقُـولَ بِـلـسانِ حـالِـها   مَـقَـالَ هِـنْـدٍ أَلْـقِ مَـنْ لَـمْ يَـلْـقِ
وسَـلْ مُـهُـورَ كِـنْـدَةٍ إنْ تُـهْـدِهَـا   لِـذِي نَـدًى كـالـبَـحْـرِ فـي تَـدَفُّـقِ

لا تَنْسَ مِنْ دُنْياكَ حَظاًّ وإلى   كالطَّالَقَانِي والخَصِيبِ انْطَلِقِ
لا تَهْجُ مَنْ لَمْ يُعْطِ واهْجُ مَنْ أَتَى   إلى السَّرابِ بالدِّلاءِ يَسْتَقِي
وَعُدْ لِمَا عُوِّدْتَ مِنْ بَذْلِ اللُّهَى   فالعَوْدُ أَحْمَدُ لِكُلِّ مُمْلِقِ
ولا تَعُدْ لِحَرْبِ مَنْ مَنَّ ولَوْ   مَنَّ فَمَا غلَّ يداً كَمُطْلِقِ
والعَوْدُ يُخْتَارُ على مَنْ كانَ كالـ   ـمُخْتارِ أوْ مَنْ كانَ ذا تَزَنْدُقِ
والصَّمْتُ حَصْنٌ للفَتَى مِنَ الرَّدَى   وقَلَّ مَنْ شَرِّ لِسَانِهِ وُقِي
وإنْ وَجَدْتَ للكَلامِ مَوْضِعاً   فَكُنْ عِراراً فِيهِ أوْ i iكالأشْدَقِ
لا تَكْتُمِ الحَقَّ وقُلْهُ مُعْلِناً   فَهْوَ جَمَالُ صَوْتِكَ الصَّهْصَلَقِ
وَصِحْ بِهِ مِثْلَ شَبيبٍ وأَبِي   عُرْوَةَ والعبَّاسِ عِنْدَ الزَّعَقِ
لا تَنْسَ ما أوْصَى بِهِ البَكْرِي أخاً   فَهْوَ سَدَادٌ فَبِهِ السُّوءَ اتَّقِ
لا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الخَؤُونَ إنَّهُ   أَرْشَقُ نَبْلاً مَنْ رُماةِ الحَدَقِ
لا تَرْجُوَنْ صَفْواً بِغَيْرِ كَدَرٍ   فَذَا لِغَيْرِ اللهِ لَمْ يَتَّفِقِ
لا تَبْخَلَنْ بِرَدٍّ ما استَعَرْتَهُ   كَضَابِىءٍ فالبُخْلُ شَرٌّ مُوبِقِ
شَحَّ بِرَدِّ كَلْبِ صَيْدٍ وهَجَا   أرْبَابَهُ ظُلْماً فَلَمْ يُصَدَّقِ
ومَاتَ في سِجْنِ ابْنِ عَفَّانَ كَمَا   قَضَى الإلهُ مِيتَةَ المُحَزْرَقِ

وَنَجْلُهُ مِنْ أجْلِهِ أجَلُّهُ   مِنْ سَطْوَةِ الحَجَّاجِ لَمْ يَكُنْ وُقِي
واسْتُرْ عَنِ الحُسَّادِ كُلَّ نِعْمَةٍ   كَمْ فاضِلٍ بِكَأْسِ مَكْرِهِمْ سُقِي
فَصَاعِدٌ على مَدِيحِ وَرْدَةٍ   أصْبَحَ مُنْحَطاًّ بِقَوْلِ سَهْوَقِ
وافْخَرْ كَفَخْرِ خَالِدٍ بالعِيرِ والـ   نَّفِيرِلا بِحُلَّةٍ مِنْ سَرَقِ
واتَّخِذِ الصَّبْرَ دِلاصاً سَابِغاً   وبِمِجَنٍّ عُمْرٍ لا تَتَّقِي
وإِنْ حَمَلْتَ رايَةَ الأمْرِ فَكُنْ   كَجَعْفَرٍ أوْ دَعْ ولا تَسْتَبِقِ
قَدْ قُطِعَتْ يَداهُ يَوْمَ مُؤْتَةٍ   ولَمْ يَدَعْهَا لِكَمِيٍّ سَوْحَقِ
لَكِنَّهُ احْتَضَنَهَا حُباًّ لَهَا   فيَا لَهُ مِنْ سَيِّدٍ مُوَفَّقِ
وَكُنْ إذا اسْتَنْجَدْتَ مِثْلَ مَنْ غَزَا   أَرْضَ العِدَا بِكُلِّ طِرْفٍ أبْلَقِ
وَسُمْ عَدُوَّ الدِّينِ بالخَسْفِ وكُنْ   مِثْلَ أبِي يُوسُفَ ذِي التَّخَبُّقِ
رَدَّ كتَابَ مَنْ دَعَاهُ للوَغَى   مِنْهُمْ مُمَزَّقاً لفَرْطِ الحَنَقِ
وقَالَ إنِّي لا أُجِيبُ بِسِوَى   جَيْشٍ عَرَمْرَمٍ وخَيْلٍ دُلُّقِ
وَضَرَبَ الفُسْطَاطَ في الحِينِ وقَدْ   أحاطَ جَيْشُهُ بِهِمْ كالشَّوْذَقِ
وكانَ ما قَدْ أبْصَرُوا مِنْ بأْسِهِ   أبْلَغَ مِنْ جَوابِهِ المُشَبْرَقِ
يا صاحِ واشْغَلْ فُسْحَةَ العُمْرِ بِمَا   يَعْنِي وَزُرْ غِباًّ رُسُومَ العَيْهَقِ

وابْكِ على ذَنْبٍ وقَلْبٍ قَدْ قَسَا   كالصَّخْرِ مِنْ هَوَاهُ لَمْ يَسْتَفِقِ
بِمُقْلَةٍ كَمُقْلَةِ الخَنْسَاءِ إذْ   بَكَتْ عَلَى صَخْرٍ بِلا تَرَفُّقِ
أوْ كَبُكَا فَارِعَةٍ عَلَى الوَلِيـ   ـدِ وبُكَاءِ خِنْدِفٍ وخِرْنِقِ
وَكُنْ مُتَمِّماً بُكَا مُتَمِّمِ   عَلَى الذُّنُوبِ وارْجُ عَفْوَ مُعْتِقِ
وَكُنْ خَمِيصَ البَطْنِ مِنْ زَادِ الرِّبَا   وخَمْرَةَ التَّقْوَى اصْطَبِحْ واغْتَبِقِ
وحَصِّلِ العِلْمَ وَزِنْهُ بالتُّقَى   وسائِرَ الأوْقَاتِ فِيهِ اسْتَغْرِقِ
ولْيَكُ قَلْبُكَ لَهُ أفْرَغُ مِنْ   حَجَّامِ سَابَاطَ ومَنْ لَمْ يَعْشَقِ
ولا تَكُنْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى واصْطَبِرْ   لِكَدِّهِ ولِلْمِلالِ طَلِّقِ
وَخُصَّ عِلْمَ الفِقْهِ بالدَّرْسِ وكُنْ   كاللَّيْثِ أوْ كأَشْهَبٍ والعُتَقِي
وفِي الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ إنْ لَمْ تَكُنْ   مِثْلَ البُخَارِيِّ فَكُنْ كالبَيْهَقِي
فالعِلْمُ في الدُّنْيَا وفِي الأُخْرَى لَهُ   فَضْلٌ فَبَشِّرْ حِزْبَهُ شَراً وُقِي
واعْنَ بِقَوْلِ الشِّعْرِ فالشِّعْرُ كَمَـ   ـالٌ للفَتَى إنْ بِهِ لَمْ يَرْتَزِقِ
والشِّعْرُ للمَجْدِ نِجَادُ سَيْفِهِ   وللعُلَى كالعِقْدِ فَوْقَ العُنُقِ
فَقُلْهُ غَيْرَ مُكْثِرٍ مِنْهُ ولا   تَعْبَأْ بِقَوْلِ جَاهِلٍ أوْ أحْمَقِ
وإنْ تَكُنْ مِنْهُ عَدِيمَ فِكْرَةٍ   فاعْنَ بِجَمْعِ شَمْلِهِ الْمُفْتَرِقِ

مـا عـابَـهُ إلاَّ عَـيِـيٌّ مُـفْـحَـمُ	لِـعَـرْفِـهِ الـذَّكـيِّ لَـمْ يَـسْـتَـنْـشِـقِ
كَـمْ حَـاجَـةٍ يَـسَّـرَهَـا وكَـمْ قَـضَـى	بِـفَـكِّ عـانٍ وأسِـيـرٍ مُـوثَـقِ
وكَـمْ أديـبٍ عـادَ كالنَّـطْـفِ غَـنِـىً	وكـانَ افْـقَـرَ مِـنَ الـمُـذَلَّـقِ
وَكَـمْ حَـدِيـثٍ جَـاءَنَـا عَـنْ فَـضْـلِـهِ	عَـنْ سَـيِّـدٍ عَـنِ الـهَـوَى لَـمْ يَـنْـطِـقِ
وقَـدْ تَـمَـثَّـلَ بِـهِ وكَـانَ مِـنْ	أصْـحَـابِـهِ يَـسْـمَـعُـهُ فِـي الـحِـلَـقِ
وقَـدْ بَـنَـى الـمِـنْـبَـرَ لابْـنِ ثـابِـتٍ	فَـكَـانَ لـلإِنْـشَـادِ فِـيهِ يَـرْتَـقِي
وقَـالَ لابْـنِ أهْـتَـمٍ فِـي مَـدْحِـهِ	وذَمِّـهِ لـلـزِّبْـرِقـانِ الأسْـمَـقِ
مَـقَـالَـةً خَـتَـمَـهَـا بِـقَـوْلِـهِ	إنَّ مِـنَ الـشِّـعْـرِ لَـحِـكْـمَـةٍ تَـقِـي
وَعِـنْـدَمَـا سَـمِـعَ مِـنْ قُـتَـيْـلَـةٍ	رَثْـيَ قَـتِـيـلِـهَـا الـذي لَـمْ يُـعْـتَـقِ
رَدَّ لَـهَـا سَـلَـبَـهُ وقَـدْ بَـكَـى	شَـفَـقَـةً بِـدَمْـعِـهِ الـمُـنْـطَـلِـقِ
وَقَـدْ حَـبَـا كَـعْـبـاً غَـدَاةَ مَـدْحِـهِ	بِـبُـرْدَةٍ ومـائَـةٍ مِـنْ أيْـنُـقِ
وَبَـشَّـرَ الـجَـعْـدِيَ وابْـنَ ثـابِـتٍ	بِـجَـنَّـةٍ جَـزَاءَ شَـعْـرٍ عُـسْـنُـقِ
كَـمْ خَـامِـلٍ سَـمَـا بِـهِ إلـى الـعُـلا	بَـيْـتُ مَـدِيـحٍ مِـنْ بَـلِـيـغٍ ذَلِـقِ
مِـثْـلُ بَـنِـي الأنْـفِ ومِـثْـلُ هَـرِمٍ	وكـالـذَّي يُـعْـرَفُ بـالـمُـحَـلَّـقِ
وَكَـمْ وَكَـمْ حَـطَّ الـهِـجَـا مِـنْ مـاجِـدٍ	ذِي رُتْـبَـةٍ قَـعْـسَـا وقَـدْرٍ سَـمِـقِ

مِثْلِ الرَّبِيعِ وبَنِي العَجْلانِ مَعْ   بَنِي نُمَيْرٍ جَمَراتِ الحَدَقِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ للشِّعْرِ عِنْدَ مَنْ مَضَى   فَضْلٌ عَلَى الكَعْبَةِ لَمْ يُعَلَّقِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ بَيَانُ آيَةٍ   ما فُسِّرَتْ مَسَائِلُ ابْنِ الأَزْرَقِ
ما هُوَ إلاَّ كالكِتابَةِ ومَا   فَضْلُهُمَا إلا كشَمْسِ الأُفُقِ
وإنَّمَا نُزِّهَ عَنْهُمَا النَّبِي   لِيُدْرِكَ الإعْجازَ بالتَّحَقُّقِ
فَهِمْ بِهِ فإنَّهُ لا شَكَّ عُنْـ   ـوانُ الحِجَا والفَضْلِ والتَّحَذْلُقِ
وَهْوَ إِكْسِيرٌ وتَدْبِيرٌ لِمَنْ   رَامَ اصْطِيادَ وَرِقٍ بِوَرَقِ
مِنْ غَيْرِ تَقْطِيرٍ وتَصْعِيدٍ وتَكْـ   ـلِيسٍ وتَرْطِيبٍ وقَتْلِ زِئْبَقِ
وَكُنْ لَهُ رَاوِيَةً كالأَصْمَعِي   والجَهْلُ أَوْلَى بالذي لَمْ يَصْدُقِ
ولَكَ فِيمَنْ كانَ مِثْلَ الأمَـ   ـوِيِّ أُسْوَةٌ بِهَا اقْتَدَى كُلُّ تَقِي
هَذا هُوَ المَجْدُ الأَصِيلُ فاتَّبِعْ   سَبِيلَهُ عَلَى الجَمِيعِ تَرْتَقِي
وإنْ أَرَدْتَ أنْ تَكُونَ شَاعِراً   فَحْلاً فَكُنْ مِثْلَ أَبِي الشَّمَقْمَقِ
مَا خِلْتُ فِي العَصْرِ لَهُ مِنْ مَثَلٍ   سِوَى أَبِي فِي مَغْرِبٍ ومَشْرِقِ
لِذَاكَ كَنَّاهُ بِهِ سَيِّدُنَا السُّلْـ   ـطانُ عِزُّ الدِّينِ تَاجُ المَفْرِقِ
مُحَمَّدٌ سِبْطُ الرَّسُولِ خَيْرُ مَنْ   سَادَ بِحُسْنِ خَلْقِهِ والخُلُقِ

أعْنِي أمِيرَ المُؤْمِنِينَ ابْنَ أمِيرِ المُـ   ـؤْمِنِينَ ابْنَ الأمِيرِ المُتَّقِي

خَيْرُ مُلُوكِ الغَرْبِ مِنْ أُسْرَتِهِ   وغَيْرِهِمْ عَلَى العُمُومِ المُطْلَقِ

وَدَوْحَةُ المَجْدِ التِي أغْصَانُهَا   بِهَا الأرَامِلُ ذَوُو تَعَلُّقِ

لَهُ مُحَيًّا ضَاءَ فِي أَوْجِ الدُّجَى   سَنَاهُ مِثْلَ القَمَرِ المُتَّسِقِ

ورَاحَةٌ تَغَارُ مِن سُيُولِهَا   سُيُولُ وَدْقٍ ورُكَامٍ مُطْبِقِ

فَاقَ الرَّشِيدَ وابْنَهُ بِحِلْمِهِ   وعِلْمِهِ ورَأْيِهِ المُوَفَّقِ

وسَادَ كَعْباً وابْنَ سُعْدَى وابْنَ جُدْ   عَانَ وحَاتِماً بِبَذْلِ الوَرِقِ

ولَمْ يَدَعْ مَعْنًى لِمَعْنٍ فِي النَّدَى   ولَمْ يَكُنْ كَمِثْلِهِ فِي الخُلُقِ

مُذْ كَانَ طِفْلاً والسَّمَاحُ دَأْبُهُ   وغَيْرَ مَأْخَذِ الثَّنَا لَمْ يَعْشَقِ

نَشَأَ فِي حِجْرِ الخِلاَفَةِ ومُذْ   شَبَّ فَتًى بِغَيْرِهَا لَمْ يَعْلَقِ

فَبَايَعَتْهُ النَّاسُ طُراً دَفْعَةً   لَمْ يَكُ فِيهَا أَحَدٌ بالأسْبَقِ

وأُعْطِيَتْ قَوْسُ العُلا مَنْ قَدْ بَرَى   أعْوَادَهَا رِعَايَةً لِلأَلْيَقِ

فَصَارَ فَيْءُ العَدْلِ فِي زَمَانِهِ   مُنْتَشِراً مِثْلَ انْتِشَارِ الشَّرَقِ

وشَادَ رُكْنَ الدِينِ بالسَّيْفِ وقَدْ   حَازَ بِتَقْوَاهُ رِضَى المُوَفَّقِ

وَقَدْ رَقَى فِي مُلْكِهِ مَعَارِجاً   لَمْ يَكُ غَيْرُهُ إلَيْهَا يَرْتَقِي

وردَّ أرْواحَ الـمكـارِمِ إلـى   أجْسَـادِهَـا بَعْدَ ذَهَابِ الرَّمَقِ
والـسَّعْدُ قَدْ ألْقَى عَصَى تَسْيَارِهِ   بِقَصْـرِهِ وخَصَّـهُ بِمَعْشَقِ
يا مـالِكـاً ألْوِيَةَ النَّصْرِ علَى   نَظِيـرِهِ فِـي غَرْبِنَا لَمْ تَخْفقِ
طـابَ الـمَدِيحُ فِيكُمُ وازْدانَ لِي   وجَـاشَ صَدْرِي بالفَرِيدِ المُونِقِ
لَوْلاكَ كُنْتُ للقَرِيضِ تاركِاً   لِعَدَمِ البَاعِثِ والـمُشَوِّقِ
تَـرْكَ الـغَزَالِ ظِلَّهُ وَوَاصِلٍ   لِلـرَّاءِ وابْنِ تَوْلَبٍ للمَلَقِ
وَكُنْتُ فِـي تَرْكِي لَهُ كابْنِ أبِي   رَبِيعَةَ النَّـاذِرِ عِتْقَ الهُبْنُقِ
وَمُذْ بِكَ الـرحمنُ مَنَّ لَمْ يَزَلْ   فِكْرِي فِـي بَحْرِ الثَّنَا ذا غَرَقِ
لا زِلْتَ بَدْراً في بُرُوجِ الشِّعْرِ تَنْـ   ـسَخُ بِنُورِكَ ظَـلامَ الغَسَقِ
ولا بَـرِحْتَ بـالأمَـانِي ظافِراً   ومُـدْرِكـاً لِـمَـا تَشَا مِنْ أنَقِ
بِسُورَةِ الـفَتْحِ وطهَ والضُّحَى   وآيَـةِ الـكُرْسِـي وآيِ الـفَلَقِ
إلَيْكَهَا أُرْجُوزَةً حُسَّانَةً   لِمِثْلِهَا ذو أدَبٍ لَمْ يَسْبِقِ
كَـأنَّـهَا أسْـلاكُ دُرٍّ ويَـوَا   قِيـتَ تُضِي كالبَارِقِ المُؤْتَلِقِ
أعَزُّ مِنْ بَيْضِ الأُنُوقِ ومنَ الـ   ـعَنْقَـا ومِنْ فَحْلٍ عَقُوقٍ أبْلَقِ
مَـا رَوْضَـةٌ فَيْنَـانَةٌ غَنَّاءُ قَدْ   جَـادَتْ لَهَـا السُّحْبُ بِماءٍ غَدَقِ

فابْتَسَمَتْ أغْصانُهَا عَنْ أبْيَضٍ   وأحْمَرٍ وأصْفَرٍ وأزْرَقِ

يَوْماً بأبْهَى للعُيونِ مَنْظَراً   مِنْهَا ولا كَلَفْظِهَا المُرَوْنَقِ

ما لِجَريرٍ وجَميلٍ مِثْلُهَا   فِي غَزَلٍ وفِي نَسيبٍ مُونِقِ

فَلَوْ رآهَا الأصْمَعِيُّ خَطَّهَا   كَيْ يَسْتَفيدَ بِسَوادِ الحَدَقِ

أو فَتَحَ الفَتْحُ عَلَيْهَا طَرْفَهُ   سَامَ قلائِدَهُ بالتَّمَزُّقِ

أوْ وَصَلَتْ للمُوصِلِي فيما مَضَى   عِنْدَ الغِنَا بِغَيْرِهَا لَمْ يَنْطِقِ

أَوْ ابْنُ بَسَّامَ رآهَا لَتَدَا   رَكَ الذَّخِيرةَ بِهَا عَنْ مَلَقِ

ولا أدِيبٌ مِنْ قُرَى أنْدَلُسٍ   جَرَتْ بِهَا أقْلامُهُ فِي مُهْرَقِ

حَصَنَّتُهَا بسورةِ الضُحَى إذا   هَوَى من المنتحل المشترق

فالحَمْدُ للهِ الذي صَيَّرَها   إثْمِدَ عَيْنٍ مُنْصِفٍ مُوَفَّقِ

والحمدُ للهِ الذي جَعَلَهَا   قَذًى بِعَيْنِ الحاسِدِ الحَفَلَّقِ

ثُمَّ الصَّلاةُ والسَّلامُ ما تَغَـ   ـنَّتْ أمُّ مَهْدِيٍّ بِرَوْضٍ مُورِقِ

عَلَى النَّبِي وآلِهِ وصَحْبِهِ   وتابِعِيهِمْ مَنْ مَضَى ومَنْ بَقِي